

## المعري و موقفه من العقل في منظور شعره

د.محمد أبوذر خليل

أستاذ مساعد اللغة العربية و آدابها

جامعة بهاء الدين زكريا ملتان.باكستان.

### **ABSTRACT**

Al-Ma'arri: Place significance of Reason in his poetry

A good number of scholars of sub-continent who development keen interest in Arabic Literature, confined their studies in prose & poetry in books like Mu'ellegat (an anthology of seven poets), Dewan-al-Hamasa, Dewan al Mutanabbi and Maqamat etc. The main purpose of studies was to get profound understanding of Religion Islam with reference to its original sources and not the literature in itself.

Al-Mutansabbi is considered to be the pioneer who opted a new style of poetry ignoring the ancient traditions and styles. Following Mutababbi in his innovative style, it is al Ma'arri who introduced his philosophical thoughts through his poetry and vigorously advocated the importance and respect to intellectual thinking and wisdom.

This article comprises three parts:

Part-I Deals with brief biography of al-Ma'arri.

Part-II Highlights the socio-political scenario of his age.

Part-III Has been specified for his philosophical thoughts and views along with the definition of certain methods and approaches towards realities of life.

## الرجل والعصر

اسمه:

هو، كما جاء في كتاب "الإنصاف والتحري" لابن العديم أحمد بن عبد الله بن سلمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن داؤد بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة أنور بن أرقم بن أسحم بن النعمان. وهو الساطع بن عدى بن عبد غطفان ابن عمرو بن بريح<sup>(1)</sup>.

وكان يرى المعري: بأن آباءه قد سماه (أحمد) ولكنه كان يكره به بعد معرفته بنفسه وأخلاقه، فكان يرى من الكذب اشتقاق اسمه من الحمد، وإنما ينبغي أن يشتق من الذم فيقول من الطويل:

وأحمد سمانى كبيرى وقلماً فعلت سوى ما أستحق الذمًا<sup>(2)</sup>

كنيته:

وأما كنيته (أبو العلاء) بالفتح والمد فقد كنى بها آباءه على عادة العرب، ولكنه كره هذه الكنية، لأنه كان يرى من الظلم أن يضاف إلى العلو، وإنما العدل أن يضاف إلى السقوط والنزول، كما يظهر من أشعاره الكثيرة في هذا الصدد منها قوله من الوافر:

دعيت أبا العلاء وذلك مين ولكن الصحيح أبو النزول<sup>(3)</sup>

نسبه ونسبته:

وأما نسبه فإنه ينتهى إلى قضاة، ثم العرب مختلفون: هل القضاة من عدنان أم هي من قحطان؟ وقد فصل القول في هذا العلامة عبد العزيز الميمنى وكذلك الدكتور طه حسين<sup>(4)</sup>

وقال ابن العديم: وقحطان مجتمع قبائل اليمن بأسرها-وتيم  
اللات مجتمع تنوخ بأسرها وإنما سُمُو تنوخ لأنهم تَنَخُوا بالشام، وقيل  
بالحيرة، أي أقاموا-والتنوخ هو المقام في الموضع<sup>(5)</sup>  
وأمانسبته إلى المعرة، فهي مدينة معروفة باسم معرة النعمان،  
والمعرة، قال فيه ياقوت الحموي في معجمه: بفتح أوله وثانيه وتشديد  
الراء، قال ابن الأعرابي: المعرة، الشدة، والمعرة: كوكب في السماء  
دون المجرة، والمعرة: الدينة، والمعرة قتال الجيش دون إذن الأمير، والمعرة  
تلون الوجه من الغضب.....

ثم يقول في النعمان: والنعمان هو النعمان بن بشير، صحابي اجتاز بها،  
فمات له بها ولد، فدفنه وأقام عليه فسميت به. وهذا في رأي سبب ضعيف، لا  
تسمى بمثله مدينة، والتي أظنه أنها مسماة بالنعمان، وهو المقلب بالساطع بن عدي  
بن غطفان بن عمرو بن بريح بن حذيمة بن تيم الله - وهو تنوخ - بن أسد بن وبرة  
بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهي مدينة كبيرة مشهورة من  
أعمال حمص، بين حلب وحماة مأوهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ومنها  
أبوالعلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري<sup>(6)</sup>

### بعض خصائصه من الفطنة والذكاء:

الأحاديث عن ذكائه وفطنته كثيرة وقد نقلها كل من جمع  
آثاره وقد خص ابن العديم فصلاً في ذكر ذكاء أبي العلاء وفطنته،  
وسرعة حفظه وألمعيته، وتوقد خاطره وبصيرته حيث نقل عدة آثار  
وحكايات في هذا الصدد، فمثلاً: حفظه حديثاً بالفارسية بين داعي  
الدعاة وأخيه، وحفظه في رقاع السمان، وإملاؤه بعض ديوان الأدب  
للفارابي من حفظه كتاب الجمهرة وحفظه دستور الخراج، وحفظه  
المحكم والمخصص، وإملاؤه في ليلة واحدة من اللزوم وحفظه ما  
اختاره ابن المنقذ له، وكذلك قصته مع جماعة من حلب وفدوا

لاختباره وفيها قال لهم: هل لكم في المقافاة<sup>(7)</sup> بالشعر؟ فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً، فينشد أبو العلاء الصبي من حفظه بيتاً على قافيته حتى نفذ حفظهم، فقال أعجزتم أن يعمل الواحد منكم بيتاً عند الحاجة إليه على القافية التي تريد؟ قالوا فافعل أنت ذلك فجعل كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافية البيت حتى قطعهم جميعاً فعجبوا منه وانصرفوا.<sup>(8)</sup>

وكما روى السيد محي الدين العيد روسي عن عجائب البلدان للقذويني: أنه كان له سرير يجلس عليه، فجعلوا في غيبته تحت قوائم أربعة دراهم، تحت كل قائمة درهماً، فقال: إن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً أو السماء نزلت<sup>(9)</sup>.

**ثقافته:**

إن الشاعر الفيلسوف كان محيطاً بعلوم عصره ومعارف بيئته فكان مثقفاً بثقافات متعددة الألوان والأنواع بحيث لا نجد له نظيراً في عصره وزمانه إنه قد ألف وصنف في جميع ألوان الثقافة وأنواع العلوم الرائجة في عصره، وكان مطلعاً على العلوم متبحراً في اللغة متسع النطاق في العربية، جامع الشعوب للطرق الأدبية نادرة في العالم وشذرة في بني آدم، ما ولدت مثله الليالي ولا أوجدت شبهه المعالي.

قال أبو زكريا التبريزي: ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري ولقد اتفق قوم ممن يقرأ عليه، ووضعوا حروفها، وألفوها كلمات وأضافوا إليها من غريب اللغة وحشيها كلمات أخرى، وسألوه عن الجميع على سبيل الإمتحان، فكان كلما وصلوا إلى كلمة مما أَلَّفوه ينزعج لها وينكرها، ويستعيدها مراراً، ثم يقول: دعوا هذه. والألفاظ اللغوية يشرحها ويستشهد عليها، حتى انتهت الكلمات، ثم أطرق ساعة مفكراً، ورفع رأسه وقال: كأنى بكم وقد

وضعت هذه الكلمات لمتحنوا بها معرفتي، وثقتي في روايتي. ووالله  
لئن لم تكشفوا لي الحال، وتدعوا لي الحال، وإلا هذا فراق ما بيني  
وبينكم فقالوا له: والله الأمر كما قلت، وما عدوت ما قصدناه.  
فقال: سبحان الله! والله ما أقول إلا ما قالته العرب<sup>(10)</sup>.

وقال ابن جوزي: وسمع اللغة وأملى فيها كتباً، وله بها معرفة  
تامة<sup>(11)</sup> ونقل المجد في البلغة عن محمد بن رادة اللغوي قال: كان  
بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما  
أبو العلاء وابن سيده<sup>(12)</sup>.

وقال ابن الوردي: وكان متضلعا من فنون الأدب<sup>(13)</sup> هكذا  
قد عاش المعري عالماً عنياً مستغنياً، محسوداً لشهرته وفضله وثقافته  
الفرّقة وتفوقه على معاصريه، وهكذا عاش الدساسون حوله، ففاضلوا  
لأجل إبدائه وإساءة سمعته، حتى رموه بالإلحاد والزندقة، لذا نجد أنه  
قد اضطر إلى أن يقول:

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنب لي إلا العلاء والفضائل<sup>(14)</sup>

### وفاته و وصيته

قال ابن خلكان: توفي يوم الجمعة الثالث، وقيل: ثاني شهر  
ربيع الأول، وقيل: ثالث عشرة سنة تسع وأربعين وأربع مائة بالمعرة  
(إننا لله و إنا اليه راجعون) وبلغني أنه أوصى أن يُكتب على قبره هذا  
البيت:

هذا جناه أبي علي وما جنيت علي أحد<sup>(15)</sup>

### عصره

عصر أبي العلاء هو صدر النصف الثاني من العهد  
العباسي؛ وهو عصر كان أبرز مظاهره تجزؤ الخلافة العباسية إلى  
دويلات، حكمها أمراء لم يدينوا للخليفة العباسي بغير الطاعة

الدينية؛ بل منها ما خلع حتى هذه الطاعة و أعلن خلافة مستقلة، نظير ما فعل الفاطميون في مصر. وقد كان هذا التجزؤ نتيجة حتمية لضعف السلطة المركزية في الخلافة، وطمع الولاة بالاستقلال بولاياتهم؛ فاذا الخلافة العباسية دويلات ذات استقلال إداري ومالي وعسكري، يحكمها الأمير المعتصب بالقوة والقهر.

على أن الطمع لم يقف من كل من هؤلاء الأمراء عند الاستقلال بإمارته، بل امتد إلى ما يتاخها من مناطق الأمانة المجاورة. فتشبت لذلك المنازعات المريرة بين الأمراء المعتصبين، وشنَّ بعضهم على بعض غارات متواصلة كان النصر فيها سجالاً، وتقلص سلطان الخلافة حتى اقتصر على بلاد ما بين النهرين ومنطقة خليج فارس، تتوسطها بغداد عاصمة العباسيين. ولقد كان هذا سبباً في تصدع كيان الدولة، فتضعفت شؤون الصناعة، وارتبكت خطوط التجارة، واضطرب حبل الامن، وغدت مناطق الزراعة عرضة للغزو والنهب، تغير عليها قبائل البدو المجاورة آنأ، وتروّعها عصابات اللصوص والشذاذ آنأ آخر. وقد استتبع هذا الوضع قيام فروق واسعة بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وعالم وجاهل؛ فكان من ثمَّ ذلك الفساد الذي دبَّ في أخلاق الناس، وسم الصلات الاجتماعية التي تقوم بينهم.

والحقُّ أن هذا التجزؤ السياسي الذي فتح باب الشرور كان، في الوقت نفسه، عاملاً هاماً من عوامل النهضة الفكرية والأدبية، اذ تعددت مراكز الفكر بتعدد عواصم السياسة، واشتدت المنافسة بين الأمراء في تنشيطها، وتسابقوا إلى رعاية العلماء والأدباء بالبذل السخي والإكرام الفائق؛ فاتسع بذلك مجال التحصيل،

وتضاعفت المهمة في البحث والإنتاج، وارتفعت عالياً مكانة العلماء والأدباء، ودُرّت عليهم اخلاف الرزق بما يستحقون.

### أحاسيس العصر

على أن الكلام في عصر أبي العلاء شيء ، والكلام في العصر كما تحسسه هو شيء آخر. فالصورة التي ارتسمت في مخيلته، وغدّت أفكاره، ووجهت آراءه إنما هي وليدة أحاسيسه أكثر مما هي وليدة الواقع التاريخي. فلئن وقع المؤرخ على كثير من مظاهر الفساد في السياسة، و دلائل الضيق في الاقتصاد، وظواهر التفسخ في المجتمع، وامارات الانحطاط في الأخلاق والآداب العامة، فإن شاعرنا في ما يبدو لم يكن يتحس من أحوال العصر إلا هذه الظواهر المشؤومة؛ ولئن كانت أحوال العصر العامة في اتجاه محقق من سيء إلى أسوأ، فإنه قد أيقن أنها قد بلغت من السوء الحد الأقصى.

ولما كان الغرض البعيد الذي نهدف له إنما هو فهم أبي العلاء، كان لزاماً علينا ان نرى الحياة كما رآها هو، وأن ننظر إليها بمنظاره هو لا بعين المؤرخ المحقق فحسب، فيتضح لنا من ثم أن ضعف الخلفاء، وتجزؤ الامبراطورية الاسلامية إلى خلافات متنازعة، ودويلات متنازعة، قد حوّل الوضع السياسي إلى جحيم مستعر. وإذا تمرقت أوصال الامبراطورية على هذا النحو، وفقد الأمن، ارتبكت سبل التجارة، وشلّ نشاط الصناعة، ونضب معين الزراعة؛ وإذا اشتدت الضائقة، وشاع العدوان، واستفحلت الفوضى، لجأ الناس إلى الخيانة والخداع، واحتالوا على المعاش بشتى الأساليب: حلالها وحرامها، سواء في ذلك أهل الدنيا و أرباب الدين. وغدت بذلك الحياة جحيماً يستعر بالأطماع ويتلظى بالشهوات، وصار سبيل الخلاص الأوحده- في رأيه- الانقراض والعدم.

فأبو العلاء، والحالة هذه، لم يرَ في استبحار العمران، وضخامة الثروات، وارتفاع مستوى العيش، إلا البطر والاستغلال وشهوة المادة؛ ولا استشفَّ من رواج سوق الأدب، واتساع حقول العلم، وتنوع ثمار الفكر، إلا الاستجداء والادعاء والنفاق. وكان هذا العصر أيضاً من أروع العصور أدباً، واخصبها إنتاجاً، وانشطتها تفكيراً؛ ويكفي دليلاً أن يكون المعري نفسه ثمرة من ثماره اليانعة.

### المعري وموقفه من العقل

إذا نطالع في الدراسات العلائقية نجد أنه قد اعتمد منهجاً شمولياً في الفكر فلم يكن أحادي النظرة فردي الوسيلة إذ جمع بين مناهج متعددة تجلت في توحيده وصوفيته، وشككه، وتقنيته متعمداً في هذه الشمولية على ثقافة واسعة متنوعة تنوع موضوعاته.

ففى سنة 400هـ وحين بلغ أبو العلاء من العمر سبعاً وثلاثين سنة اعتزل الناس<sup>(16)</sup> عزلة ذكرها في إحدى رسائله قائلاً:..... بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشيبية فمضت، وحلبت الدهر أشطره، وحربت خيره وسره فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة عزلة تجعلني من الناس كبارح الأروى من سانح النعام....<sup>(17)</sup>

وتقول رسالته هذه أن هذه العزلة منهج اختاره بعد حقب متقدمة، وفكر طويل، وليس بنتيج الساعة، وريب الشهر والسنة<sup>(18)</sup> أراد منه استبعاد الأحياء بخاصة وإن الناس- بالنسبة إليه- مجهولون، أو كالمجهولين يسمع أصواتهم ولا يراهم، ويحس أفعالهم ولا يراها، أما حريرتهم فهي: حرية مبتدلة لأنها حرية الأجسام لا حرية العقول والنفوس...<sup>(19)</sup>

فبعده عن الناس يحقق فيه قوله:

بعدي عن الناس براء من سقامهم وقربهم للحجى والدين أدواء  
 كالبيت أفرد لا إبطاء يدركه ولا سناد ولا في اللفظ أقياء<sup>(20)</sup>  
 فحين يخلطهم بنفسه يضيف إليها أدأؤهم على حدتها  
 وشبوحها، فقد بمقتهم - أحياناً - وهو يمقت بمقتهم الجهل الشامخ،  
 والإيمان المكابر والعقل المريض، هو شقي من نوع شقاوتهم ولكنه  
 يكافح في غير استسلام، بيد أنه مطمئن - مع ذلك - أن هذا  
 التفاعل بين الكفاح والأعصار فمتى بان ينقذ بالبارقة الهاوية<sup>(21)</sup>  
 بل لقد ذهب المعري - في نظره الوجودي المثالي - إلى أبعد  
 من هذا حين عدَّ هذه الحياة والأجسام سجناً للروح في قوله:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخير النبيث  
 لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث<sup>(22)</sup>  
 وربما كان المعري يعتقد أن الوجود الحقيقي هو وجود روحي،  
 لأنه يرى أن مشكلات الإنسان الوجودية جاءت بسبب اجتماع، أو  
 التقاء المادة (الجسد) بغير المادة (الروح) ولهذا كان التفرد خير من  
 الألفة في نظره:

الجسم والروح من قبل التقاءهما كانا وديعين لا هما ولا سقما  
 تفرّد الشيء خيبر من تألفه بضده وتجرّ الألفة النقما<sup>(23)</sup>  
 وفي هذا الاعتزال كما تفيّد لزومياته أراد تحقيق الأغراض

التالية:

1. تصحيح الطبيعة العضوية (الأصيلة) لأن الإختلاط - في نظره -  
 يفسد العقل وعنصر الصدق فيه فوجب تنقيته من كل راسب  
 عضوي<sup>(24)</sup> وقوله:

قد أسرف الناس في الدعوى بجهلهم  
 حتى ادّعوا أنهم للخلق أرباب

ألباهم كان بالذات متصلا  
طوال الحياة وما للقوم ألباب<sup>(25)</sup>

2. التلفت من أسر القرية الإجتماعية، وعدوى الفكر والشعور،  
لأن العزلة اختزال الكائنات البشرية بل والأشياء المحيطة بنا.  
3. الريب في كل ما يعتبره الناس حقائق أولية ومبادئ للنظر  
والفكر<sup>(26)</sup> في هذا يقول:

وما تريك مرائي العين صادقة  
فاجعل لنفسك مرآة من الفكر<sup>(27)</sup>

مرآة عقلك إن رأت بها سوى  
ما في حجاج أرتة وهو قبيح<sup>(28)</sup>

4. تحرير العقل من ضغط الأفكار التي سبق له الاقتناع بها<sup>(29)</sup>  
فهو يقول:

غدوت مريض العقل والدين فالقنى لتسمع أنباء الأمور  
الصحائح<sup>(30)</sup>

فالمعري لا يثق بالحصول الذهني السابق لأنه بعض من العقل  
المكتسب المدخول<sup>(31)</sup> يقول:

وقد يفسد الفكر في حالة فيوهمك إدّر قطر السرى<sup>(32)</sup>

فهو يشك بقيمة الفكر الاصطلاحي ويؤمن بجوهر العقل  
دون التعقل الكثيفة بالأوهام المتناقضات<sup>(33)</sup> وفيه يقول:

لعمرك ما غادرت مطلع هضبية من الفكر إلا وارتقيت هضابها<sup>(34)</sup>

وقوله:

إن عذب المين بأفواهكم فإنّ صدقي بغمي أعذب<sup>(35)</sup>

وتتلخص عناصر منطق المعري في منهجه هذا فيما يأتي<sup>(36)</sup>

1. قانون التجربة المقترنة بعقل نفاذ وهو عنده المنطق الأول

للإثبات:

إذ قرن الظن المصيب من الفتى بتجربة جاء بعلم غيوب<sup>(37)</sup>

2. قانون النفي والإثبات الذي استمدته من الباطنية التي

استمدته حسب مقالها من كلمة الشهادة (لا إله إلا الله) فقد عمدت

وضاقتها في معادلة عقلية هي (لا-إلا) دالة على النفي للأشياء توصلنا

إلى إثبات الشئ وهذا القانون ينتهي بنتيجتين: الأولى أن النظر

العقلي ينبغي أن يبدئ بالنفي المطلق ليتوصل إلى الإثبات المحدود.

والثانية: أن الكثرة هي علامة الباطل (يلاحظ أن لا إله نفي

للجنس) فالتعليل الذي ينتهي بتفسير ذي شعب يشهد على بطلان

نفسه وإن الوحدة هي علامة الحق ( يلاحظ أن الإستثناء معيار

العموم فهو يفيد القصر) ومشخصات هذا القانون تبدو في

الدراسات العلائقية حين يقول:

والإنس ما بين إكثار إلى عدم كالوحش ما بين محال واخصاب

لم يثبتوا بقياس أصل دينهم فيحكموا بين رفاض ونصاب<sup>(38)</sup>

وقوله:

تروم قياسا للحوادث ضلة

وتلك أصول ليس يجمعها حصر

وعند ضياء الفجر صليت الضحى

وعند غروب الشمس صليت العصر<sup>(39)</sup>

وقوله:

ياليل! ضدان قوم في الدجى سهد تمجدوك وقوم فيك هجداد<sup>(40)</sup>  
فأبوالعلاء يرى أن الناس في تفكيرهم بين رجلين: إيجابى  
مبالغ وسلي مبالغ ولذلك ضلوا. فإن المبالغة في الإيجاب كثيرة وهي  
باطلة كما أن المبالغة في السلب كثيرة وهي باطلة أيضاً وفي كليهما لا  
يستقيم قياس يكون حكماً فصلاً:  
وقد اختار لهذا مثلاً في حكم الناس على الإمام علي رضي  
الله عنه في قوله:

ولكل ما أصبحت تدرك حسه ضدّ وكبره من ترى كصغار  
شيع أحلت يوم خم وأنتفت أخرى تعارضاً بيوم الغار<sup>(41)</sup>  
وفي النصوص التالية نقرأ ملاحظات وآراء هامة عن منهجه  
العقلي ومفهوم العقل الإنساني عنده يقول فيها:

هل صح قول الحاكي فنقبله أم كل ذاك أباطيل وأسما  
أما العقول فآلت أنه كذب والعقل غرس له بالصدق أثمار<sup>(42)</sup>  
فكلمة (غرس) في البيت الثاني تتفتح فيها كل الخصائص  
حين تصبح نبتة، فالعقل عنده مزود بخصائص ثابتة أي أوليات وهي  
تمو في أشكال مختلفة من طبيعة ما يستقى الغرس به فيجئ ضاويماً  
ملتويماً حيناً وبالغاً زكياً حيناً آخر<sup>(43)</sup>  
وفي قوله:

إذا تفكرت فكراً لا يخالطه فساد عقل صحيح هان ما صعباً<sup>(44)</sup>  
فقوله (فساد عقل صحيح) يقرر فيه أن الصعوبة التي  
نعياها، ونجهد في حلها ليس هو الشيء، وليس في العقل نفسه، وإنما  
ينبع مما يخالط العقل من الأباطيل وتسمى أفكاراً، وفلسفات،

ومسلمات أحيانا وما تلك الأفكار في حقيقتها إلا فساد لا يزال  
بالعقل حتى يحتقن متورما<sup>(45)</sup> وهو يشرح لنا هذا في قوله:

لقد صدأت أفهام قوم فهل لنا  
صقال ويحتاج الحسام إلى الصقل<sup>(46)</sup>

وهو في هذا يحدثنا بأن المعارف التي نجهد بتحميل العقل  
إياها تتراكم عليه مثل صدأ كثيف. ما أشد ما تكون الحاجة إلى  
عملية صقل تتناوله من كل جهاته وجوانبه كافة<sup>(47)</sup> على أنه ينتقل  
إلى منحى آخر في قوله:

نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى بإكرام وتصديق<sup>(48)</sup>

ليعرفنا بأننا نخضع العقل، ونخضعه في إكراه لتصديق قضايا  
يزعمونها كالمسلمات والمبادئ، وهو بهذا يلمسنا رأيه الصحيح  
في (عقل فطري) و(عقل مكتسب) والمعري يطمئن إلى الأول اطمئنانا  
لا حد له<sup>(49)</sup> ولكنه يبدو أكثر وضوحا في قوله:

هي غربتان فغربة من عاقل ثم اغتراب من محكم عقله<sup>(50)</sup>

فهو يرى أن العقل الفطري انطمست معالمه بصدأ العقل  
المكتسب والضرورة تقضي صقله والسبيل إلى ذلك - كما يرى -  
بالإنفراد قدر ما يستطيع الإنسان لكي لا تعبت به العدوى وتهب  
عليه<sup>(51)</sup> عليه ربح الثوباء كما يدل على ذلك قوله:

فانفرد ما استطعت فالقائل الصادق يضحى ثقلا على الجلساء<sup>(52)</sup>

إن صح عقلك فالتفرد نعمة ونوى الأوانس غاية الإيناس<sup>(53)</sup>

ولكنها عزلة محصنة تسمح بتقليب قضايا العقل على شتى  
وجوهها في تمهل وتحليلها طويلا في صدق<sup>(54)</sup> فلم يكن المعري ليبرى  
أن العقل لا يخطئ لكنه ربما يرجع ذلك لا إلى طبيعة العقل. فليس

للعقل خطأ في ذاته. إنما ينشأ ذلك من أمر عارض فمأساة العقل  
أنه في جسد يخالطه هوى فتغلبه الغريزة<sup>(55)</sup> وهو ما يبدو في قوله:

نهایی عقلي عن أمور كثيرة وطبعي إليه بالغريزة جاذبي<sup>(56)</sup>

وهنالک إلى الطبع، والغريزة جسم وفيه ميول قد تسيطر فما  
يعود لحكم العقل كماله وعصمته<sup>(57)</sup>

ولو كان عقل النفس في الجسم كاملاً لما أضمرت فيما يلّم به غمماً<sup>(58)</sup>

ولذلك احتاط المعري بالقول من أن العقل لا يستطيع أن يدرك تمام  
الحقيقة أو كمال اليقين<sup>(59)</sup>

أما اليقين فلا يقين و إنما أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا<sup>(60)</sup>

ويوصى محذراً من تلقي المعرفة المزيفة، وإخضاع ما يتلقى منها - عامة - إلى  
فحص عقلي دقيق، وبخاصة تلك المعرفة الدينية التي تختلط بالكذب، والافتراء،  
والخرافة كما يبدو في النصوص التالية:

والحديث المسموع يوزن بالعقل فيضوى إليه عرف ونكر<sup>(61)</sup>

وينفرعقلي مغضبا إن تركته سدى واتبعت الشافعي ومالكاً<sup>(62)</sup>

يتلون أسفارهم والحق يخبرني بأن آخرها مين وأولها

صدقت يا عقل فليبعد اخوسفه صاغ الأحاديث افكا أو تأولها<sup>(63)</sup>

لا يـدينون بالعقول ولكن بأباطيل زخرف كذبوه<sup>(64)</sup>

لأن التدين عند كثير من الناس كما يرى المعري يرثه الأبناء  
عن آبائهم ويقلدونه عن أهلهم، وهو تدين مشكوك في سلامته، بل  
ومرفوض لأنه ليس نتيجة لجد العقل:

وما دان الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقبوه<sup>(65)</sup>

ويقف المعري وسطاً معتدلاً لا يوغل في الدين برفق لكي لا

يكون واحداً من اثنين يقول فيهما:

هفت الحنفية والنصارى ما اهتدت ويهود حارث والجوس مُضللّه

اثان أهل الأرض ذوعقل بلا دين وآخر دين لا عقل له<sup>(66)</sup>  
ويدعو المعري- كما يبدو- إلى التناصر بين العقل والدين  
فلا يتم إيمان علمي حقيقي إلا بهذا التناصر، إذ أن في الدين  
جانبين: أحدهما متحرك والآخر ثابت و في الأول من السعة ما يمكن  
العقل فيه أن يتحرر مما عناه من المسلمات والقيود التي فرضها.  
بالتقهر والتعزير فكر الدين الذي لا عقل له على المجتمع والأفراد.  
غير أنه وقف أبوالعلاء من الموضوعات الغيبية موقفاً تقليدياً  
معتزلاً بعجز العقل عن التصدي لمثل هذه الموضوعات كالبحث في  
حقيقة الخالق، وغاية الوجود، وماوراء المادة وغيرها إذ يقول:

متى عرض الحجا لله ضاقت مذاهبه عليه وإن عرضنه<sup>(67)</sup>  
وقوله:

خلقنا لشيء غير باد وإنما نعيش قليلاً ثم يُدركنا الهلك<sup>(68)</sup>  
نفارق العيش لم تظفر بمعرفة أى المعاني بأهل الأرض مقصود  
لم تعطنا العلم أخبار يجي بها نقل ولا كوكب في الأرض مرصود<sup>(69)</sup>  
وقوله:

وإن أمرنا بفكر في بدائعه وإن تفكر فيها معشر لحدوا<sup>(70)</sup>  
ولكنه لا يشك بغائية الوجود وحكمته كما يقول شعره  
الآتى:

وخلقتك من ربنا حكمة لقد جلّ عن لعب أو عبث<sup>(71)</sup>  
وقوله:

لولا بدائع دلت أن خالقنا أدرى وأحكم قلنا: خلقنا لم<sup>(72)</sup>  
كما يؤمن بقصدية الاخفاء الوجودي في قوله:

في كل نفس أعجوبة والحقائق عن البشر محجوبة<sup>(73)</sup>

وقد أذعن للمعجزة الدينية، لأنه يرى أن النواميس الطبيعية،  
والسنن الكونية يمكن أن يجرى ما هو خلافها فتتعطل حين يريد  
خالقها ذلك حيث يقول:

إذا سمعت أن الرقيع أمطر جنوداً وأنبت البقيع مندلاً فقل  
أما في العقول فلا وإما في القدرة فبلى العادات بإذن الله متغيرات<sup>(74)</sup>

ويمكننا في الأخير أن نقول إن المعري لم يتخذ العقل أصلاً  
نظرياً واحداً للمعرفة، بل أشرك معه أصلين آخرين وهما الحس، والنقل  
كم جاء في كتابه الشهير (الفصول والغايات)<sup>(75)</sup> داعياً إلى  
تضافرها، واستخدامها جميعاً، أو تقديمها بحسب موضوع البحث  
وطبيعته فلا يصلح كل أصل لكل موضوع، وبسب هذا التعديد في  
المناهج والإيمان ب(التكاملية)هاجم المعتزلة العقليين في لزومياته:

ومعتزل لم أوافقه ساعة أقول له في اللفظ دينك أجزل<sup>(76)</sup>

وقوله:

وحدث الناس في هرج و مرج غشوة بين معتزل و مرجي<sup>(77)</sup>

كما هاجم الأشاعرة الذين قدموا (الشرع) على (العقل) في  
رسالته الغفران<sup>(78)</sup> وبهذا تجنب ال (الأحادية) في المنهج متفرداً  
بمذهب أو منهج يقول عنه:

ولي مذهب في هجري الإنس نافع إذا القوم خاضوا في اختيار المذهب<sup>(79)</sup>

.-.-.

## الهوامش

1. الإنصاف والتحري: لابن العديم، ص486.
2. ديوان لزوم مالا يلزم: لأبي العلاء المعري، ج2، ص345.
3. المصدر السابق، ج2، ص267.
4. انظر: (أ) أبو العلاء وما اليه: للميمنى، ص25-28 (ب) تجديد ذكرى أبي العلاء: د. طه حسين، ص116-144.
5. الإنصاف والتحري: لابن العديم، ص487 (من التعريف).
6. معجم الأدباء: لياقوت الحموي، ص574 (من التعريف).
7. فن يسمى اليوم مذاكرة الأنفاس، أو مطارحة الشعر على قافية واحد، وهو أن ينشد كل واحد على روي بيت الآخر وهذا على روي ذلك إلى أن يعيا أحدهما.
8. الإنصاف والتحري: ص558-559 (من التعريف).
9. النور السافر: للعيد روسي، ص419 (من التعريف).
10. الإنصاف والتحري: ص569-570 (من التعريف).
11. المنتظم: لابن الجوزي، ص18 (من التعريف).
12. أبو العلاء وما اليه: الميمنى، ص53.
13. تمة المختصر في أخبار البشر، ص207 (من التعريف).
14. ديوان سقط الزند: لأبي العلاء، ج2، ص321.
15. وفيات الأعيان: لابن خلكان، ص183 (من التعريف).
16. أوج التحري عن حيشة المعري: للبديعي، ص45 (من التعريف).
17. البيان والتبيين: للحافظ، ج2، ص90.
18. تاريخ الفكر العربي: الدكتور عمر فروخ، ص135.
19. تاريخ الفلسفة في الإسلام: دى بور (ترجمة عبد الهادي أبو ريدة) ص55.

20. تجديد ذكرى أبي العلاء: دكتور طه حسين، ص 132 (من الأعمال الكاملة لطفه حسين).
21. تعريف القدماء بأبي العلاء: دكتور طه حسين، ص 19.
22. ديوان لزوم مالا يلزم: للمعري، ج 2، ص 135.
23. حكيم المعرفة: دكتور عمر فروخ، ص 97.
24. المعري ذلك المجهول: للعلايلي، ص 126.
25. ديوان لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 338.
26. المعري ذلك المجهول، ص 127.
27. ديوان لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 338.
28. المصدر السابق، ج 1، ص 213.
29. المعري ذلك المجهول، ص 127.
30. ديوان لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 218.
31. المعري ذلك المجهول، ص 127.
32. ديوان لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 66.
33. المعري ذلك المجهول، ص 23.
34. ديوان لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 125.
35. المصدر السابق، ج 1، ص 86.
36. المعري ذلك المجهول، ص 129 وما بعدها.
37. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 119.
38. المصدر السابق، ج 1، ص 119.
39. المصدر السابق، ج 1، ص 300.
40. المصدر السابق، ج 1، ص 224.
41. المصدر السابق، ج 1، ص 422.
42. المصدر السابق، ج 1، ص 313.
43. المعري ذلك المجهول، ص 95.
44. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 218.
45. المعري ذلك المجهول، ص 95.
46. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 218.

47. المعري ذلك المجهول، ص 95.
48. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 141.
49. المعري ذلك المجهول، ص 96.
50. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 243.
51. المعري ذلك المجهول، ص 96.
52. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 56.
53. المصدر السابق، ج 1، ص 49.
54. المعري ذلك المجهول، ص 96.
55. المرجع السابق، ص 96.
56. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 113.
57. في الأدب الفلسفي، ص 153.
58. لزوم مالا يلزم، ج 1، ص 286.
59. في الأدب الفلسفي، ص 153.
60. لزوم مالا يلزم، ج 2، ص 31.
61. المصدر السابق، ج 1، ص 342.
62. المصدر السابق، ج 2، ص 155.
63. المصدر السابق، ج 2، ص 203.
64. المصدر السابق، ج 2، ص 419.
65. المصدر السابق، ج 2، ص 413.
66. المصدر السابق، ج 1، ص 115.
67. المصدر السابق، ج 2، ص 359.
68. المصدر السابق، ج 2، ص 146.
69. المصدر السابق، ج 1، ص 240.
70. المصدر السابق، ج 1، ص 338.
71. المصدر السابق، ج 1، ص 190.
72. المصدر السابق، ج 2، ص 275.
73. الإيك والغصون: لأبي العلاء المعري، ص 67 (من أوج التحري: للبديعي).

74. الفصول والغايات: لأبي العلاء المعري، ص147.
75. المصدر السابق، ص552-553.
76. لزوم مالا يلزم، ج2، ص187.
77. المصدر السابق، ج1، ص204.
78. رسالة الغفران: لأبي العلاء المعري، ص466.
79. لزوم مالا يلزم، ج1، ص118.

## المصادر والمراجع

1. الأعمال الكاملة: دكتور طه حسين، دارالمعارف، ط الثامنة، مصر 1999م.
2. الإنصاف والتحرري: لابن العديم، مطبعة الهاشمية، دمشق، ط الثانية، 1962م.
3. أوج التحري عن حيشة المعري (تحقيق إبراهيم الكيلاني) مطبعة الترقى، دمشق، 1944م.
4. تأريخ الفكر العربي: دكتور عمر فروخ، دارالعلم، ط الثالثة، بيروت، 1966م.
5. تأريخ الفلسفة في الإسلام: دي بور (ترجمة عبدالمهدي أبوريدة) لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1938م.
6. تعريف القدماء بأبي العلاء: إشراف الدكتور طه حسين (تحقيق مصطفى السقا وجماعة) الدار القومية للطباعة والنشر 1965م.
7. حكيم المعرفة: دكتور فروخ، مطبعة الكشاف، بيروت، 1948م.
8. ديوان الشعر العربي: على أحمد سعيد، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م.
9. رأي في أبي العلاء: أمين الخولي دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون.
10. رسالة الغفران: لأبي العلاء المعري، دارالمعارف، ط السادسة، مصر، 1977م.
11. أبو العلاء ناقد المجتمع: دكتور زكي المحاسني، دارالمعارف، لبنان، 1963م.
12. الفصول والغايات: لأبي العلاء المعري (تحقيق محمود حسن زناطي) الهيئة المصرية العامة لكتاب، مصر، 1977م.
13. فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره: دكتور حامد عبدالقادر، لجنة البيان العربي، مصر، 1950م.
14. في الأدب الفلسفي: محمد شفيق شيا، مؤسسة نوفل، ط الأولى، لبنان، 1980م.
15. مبادئ الفلسفة: أس رابوبرت (ترجمة أحمد أمين) دارالكتاب العربي، بيروت، 1969م.
16. معالم الفكر العربي: دكتور كمال اليازجي، دارالعلم للملايين، ط الثالثة، بيروت، 1961م.
17. المعجم الأدبي: جبور عبدالنور، دارالعلم للملايين، ط الثالثة، بيروت، 1984م.
18. المعري ذلك المجهول: عبدالله العلابي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981م.
19. المنقذ من الضلال: الغزالي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، 1959م.
20. المهرجان الألفي، مطبعة الترقى، دمشق، 1945م.

\*\_\*\_\*